مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم:

سورتا الليل والفجر نموذجاً

د. فاتن محمد محمد علي

مدرس الدراسات اللغوية بقسم اللغة العربية

كلية الألسن – جامعة عين شمس

DOI: 10.21608/qarts.2024.296984.1983

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم:
سورتا الليل والفجر نموذجًا

الملخص:

تُعنى هذه الدراسة الصوتية بتناول جانب من إعجاز القرآن الكريم، انفرد به نص القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية، ذلك الجانب المتعلق بالإيقاع الصوتي للآيات القرآنية. فتحاول تسليط الضوء على ذلك الجانب الإعجازي برصد فواصل الآيات وتحليل أصوات حروفها وترتيبها. الإيقاع القرآني على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف من حيث مخارجها وصفاتها وحركاتها، ومن أوزان الكلمات ومقاطعها، والفواصل القرآنية، وضروب البديع والتوازن بين الجمل والعبارات. وأيضًا من خلال تكرار بعض الكلمات والأصوات للدلالة على معنى معين أو توظيفها في مناسبة معينة.

وقع اختيار الدراسة على سورتي الليل والفجر لما بينهما من ارتباط في الأسلوب، كما أن كلتيهما تتضمن خطابًا ترهيبيًا للكفار وخطابًا ترغيبيًا للمؤمنين، وتضيف عائشة عبد الرحمن سببًا آخر لتقارب سورتي الليل والفجر قائلة: "تقارب سور (الليل والفجر والضحى) في النزول، يجلو الظاهرة الأسلوبية التي يعمد فيها البيان القرآني إلى جلاء المعنويات بماديات من النور والظلمة في مختلف درجاتهما على مدى اليوم الواحد من غشية الليل وتجلي النهار، وإشراق الضحى وسجو الليل، وتألق الفجر ومسرى الليل وتنفس الصبح". كما أن كلتا السورتين تدعو إلى محو تقاليد الجاهلية والأخلاق السيئة التي ورثها العرب عن أجدادهم؛ للدخول في عهد جديد مثل بزوغ الفجر وتجلي النهار.

اعتمد البحث على المنهج الوصفي في رصد فواصل آيات سورتي الفجر والليل، وتحليل مقاطعها ووصف أصواتها؛ لبيان دلالتها الصوتية وأثرها في إحداث إيقاع مميز للآيات. كما اعتمد في بعض أجزائه على المنهج الإحصائي.

الكلمات المفتاحية: الإيقاع؛ القرآن؛ الأصوات؛ المقاطع؛ التكرار.

مقدمة:

تُعنى هذه الدراسة الصوتية بتناول جانب من إعجاز القرآن الكريم، انفرد به نص القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية، ذلك الجانب المتعلق بالإيقاع الصوتي للآيات القرآنية. فتحاول تسليط الضوء على ذلك الجانب الإعجازي برصد فواصل الآيات وتحليل أصوات حروفها وترتيبها.

يعتمد الإيقاع القرآني على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف من حيث مخارجها وصفاتها وحركاتها، ومن أوزان الكلمات ومقاطعها، والفواصل القرآنية، وضروب البديع والتوازن بين الجمل والعبارات. وأيضًا من خلال تكرار بعض الكلمات والأصوات للدلالة على معنى معين أو توظيفها في مناسبة معينة.

يراد بمصطلح الإيقاع تآلف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل وتوزيعها داخل التراكيب بمسافات تؤدي إلى إحداث تنغيمات وأصوات مؤثرة. ويتحرج البعض من إطلاق مصطلح الإيقاع مع النص القرآني الكريم؛ ذلك لأن هذا المصطلح عُرف إطلاقه على اللحن الموسيقي، فكلمات النص القرآني لها أثرها الصوتي المؤثر في النفوس، ولما جاء النص القرآني الكريم جاريًا على أسلوب العربية في التأليف، وكانت هذه اللغة موسيقية تقوم على الإيقاع فقد تميز أسلوب القرآن بالإيقاع المعجز والجرس المثير للانتباه، وبما أن الإيقاع يشكل عنصرًا من عناصر الدلالة، وليس محسنًا هامشيًا يأتي في النسق التعبيري فقد اعتنى به النص القرآني عناية بالغة، وكان هذا الإيقاع المتميز هو أول ما ظهر لأهل مكة من بلاغته وإعجازه حتى إن أعداء الدعوة – وهم أهل اللسن والفصاحة– شهدوا بذلك.[١]

---

(١) المهدي إبراهيم الغويل، جماليات البنية الإيقاعية في القرآن الكريم دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، مجلد ٢١، ٢٠١٤، ١٦٧، ١٦٩ بتصرف.

فالإيقاع الصوتي له أثر فعال في بيان المعنى وإظهاره؛ لذلك يعد وجهًا من وجوه إعجاز النص القرآني، كما أنه يسهم في حفظ النص القرآني الكريم وتثبيته في ذاكرة المتلقي.

مادة الدراسة:

وقع اختيار الدراسة على سورتي الليل والفجر لما بينهما من ارتباط في الأسلوب، كما أن كلتيهما تتضمن خطابًا ترهيبيًا للكفار وخطابًا ترغيبيًا للمؤمنين، وتضيف عائشة عبد الرحمن سببًا آخر لتقارب سورتي الليل والفجر قائلة: "تقارب سور (الليل والفجر والضحى) في النزول، يجلو الظاهرة الأسلوبية التي يعمد فيها البيان القرآني إلى جلاء المعنويات بماديات من النور والظلمة في مختلف درجاتهما على مدى اليوم الواحد من غشية الليل وتجلي النهار، وإشراق الضحى وسجو الليل، وتألق الفجر ومسرى الليل وتنفس الصبح". [١]

كما أن كلتا السورتين تدعو إلى محو تقاليد الجاهلية والأخلاق السيئة التي ورثها العرب عن أجدادهم؛ للدخول في عهد جديد مثل بزوغ الفجر وتجلي النهار.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي في رصد فواصل آيات سورتي الفجر والليل، وتحليل مقاطعها ووصف أصواتها؛ لبيان دلالتها الصوتية وأثرها في إحداث إيقاع مميز للآيات. كما اعتمد في بعض أجزائه على المنهج الإحصائي للوصول إلى النتائج بشكل دقيق.

---

(١) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨، ج ٢، ص ٩٧.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة في هذا الموضوع:

١- المهدي إبراهيم الغويل، جماليات البنية الإيقاعية في القرآن الكريم دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم، ٢٠١٤.

٢- عبد الصبور أحمد الجالس، خطبة حجة الوداع للنبي، دراسة تحليلية في ضوء نظرية القوة الإيقاعية، ٢٠١٨.

٣- مطيعة بنت هزاع العنزي، الفاصلة في السياق القرآني، دراسة تطبيقية على سورة الواقعة، ٢٠١٨.

٤- محمد شيخ، دلالة الأصوات في سورة المطففين، دراسة إحصائية دلالية، ٢٠٢٢.

أقسام الدراسة:

- مقدمة توضح موضوع الدراسة ومادته ومنهجه والدراسات السابقة.
- مدخل نظري يتضمن تعريف الفواصل وأهميتها وتقسيمها المقطعي.
- دراسة تطبيقية تشتمل على تحليل لفواصل سورتي الليل والفجر صوتًا ودلالةً.
- خاتمة تعرض أهم نتائج الدراسة.
- قائمة المصدر والمراجع.

- **مظاهر الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم:**

مدخل نظري:

❖ **تعريف الفواصل وأهميتها:**

يعرف الزركشي ت ٧٩٤ هـ الفواصل بأنها: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع. وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان". [١]

يعرف محمد الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣ هـ الفواصل بأنها:" الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب مع تماثل أو تقارب صيغ النطق بها، وتُكرَّر في السورة تكرارًا يؤذن بأن تماثلها أو تقاربها مقصود من النظم في آيات كثيرة متماثلة تكثر وتقل، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع، والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركات وسكون، وهي أكثر شبهًا بالتزام ما لا يلزم في القوافي. وأكثرها جار على أسلوب الأسجاع. والذي استخلصته أيضًا أن تلك الفواصل كلها منتهى آيات ولو كان الكلام الذي تقع فيه لم يتم فيه الغرض المسوق إليه، وأنه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه فاصلة لا يكون منتهى الكلام نهاية آية إلا نادرًا كقوله تعالى: {ص والقرآن ذي الذكر}، فلو انتهى الغرض الذي سيق له الكلام وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام تكون الآية غير منتهية ولو طالت".[٢]

---

(١) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص ٥٠.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ج١، ص ٧٥، ٧٦.

يعرفها علي محمد عاصي بأنها تلك النهايات الصوتية التي تُذيل بها الآيات القرآنية ويتجسد فيها معنى الآية الكلي ومعنى السورة فهي خواتمها. ويتم بها النغم الموسيقي، فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية في البيت. (١)

هكذا نرى أن العلماء اختلفوا في تحديدها هل هي كلمة أم مقطع صوتي أم آخر حرف، أرى أن الفاصلة تكون آخر صوت من الكلمة في نهاية الآية.

أهمية الفواصل في القرآن الكريم:

ذكر الرماني ت ٣٨٤هـ في أهمية الفواصل في القرآن الكريم: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني".(٢)

وتحدث أحمد أحمد بدوي عن أهمية الفواصل من الجانب الدلالي حيث قال إنها تنزل من آيتها تكمل من معناها، ويتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقًا تامًا، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم فهي تؤدي في مكانها جزءًا من معنى الآية ينقص ويختل بنقصانها. (٣)

وذكر فضل حسن عباس أن الفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظي فحسب، وهو اتفاق رؤوس الآي بعضها مع بعض، وهو ما يعبرون عنه بمراعاة الفاصلة، إنما جاءت الفاصلة في كتاب الله تعالى لغرض معنوي يحتمه السياق وتقتضيه الحكمة، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع. (٤)

---

(١) علي محمد عاصي الإزيرجاوي، الفاصلة وتشكيلها المقطعي في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٣٢، ٢٠٢٠، ص ١٢٨.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد – د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦، ص ٩٧.

(٣) أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، ٢٠٠٥، ص ٦٥ بتصرف.

(٤) فضل حسن عباس – سناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، الطبعة الثامنة، ٢٠١٥، ص ٢١٨ بتصرف.

وأضاف تمام حسان فائدة صوتية للفاصلة قائلاً: "تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقق للنص جانبًا جماليًا لا يخطئه الذوق السليم؛ لأننا مهما يكن من شيء نحس أنها تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع فينشأ عن تضافرهما أثر جمالي". [١]

يتبين مما سبق أن للفواصل أهمية على المستويين اللفظي والمعنوي؛ حيث إن لها أثرًا جماليًا ناتجًا عن إيقاعها، وتسهم كذلك في حسن إفهام المعاني.

التقسيم المقطعي للفواصل:

ستتناول الدراسة التقسيم المقطعي للفواصل؛ حيث إن الصوت المفرد لا يحمل أي معنى؛ بل لابد من ضم الصوت إلى الصوت بغية تركيب السلسلة الكلامية المكونة من مقاطع وكلمات تشكّل وحدات دلالية أكبر. [٢]

يعرف المقطع بأنه: "عبارة عن توالي صامت ومصوت قصير أو طويل يتناسب مع نظام اللغة في صوغ مفرداتها، ويؤدي تتابع كل نوع من هذه المقاطع دلالة في المعنى اعتمادًا على الحيز الزمني الذي يستغرقه كل نوع من المقاطع".[٣]

وفي اللغة العربية نوعان من المقاطع:

١- المقطع المفتوح وهو المقطع المنتهي بصوت صائت سواء أكان:

أ- قصيرًا

ب-أم طويلاً

---

(١) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ج١، ص ٢٧٩.

(٢) عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ٩١.

(٣) علي محمد عاصي الإزيرجاويّ، الفاصلة وتشكيلها المقطعي في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، ص ١٣٠.

٢- المقطع المقفل وهو المقطع المنتهي بصوت صامت. [١]

يعرف علي محمد عاصي التشكيل المقطعي بأنه: "انقسام اللفظة على مقاطع متباينة الأنواع وربما متفقة، تُمثِّل البناء الهيكلي لها، وبحسب عدد تلك المقاطع يُصنِّف نوع الكلمة كأن تكون أحادية المقطع أو ثنائية...". [٢]

❖ **أنواع الفواصل في القرآن الكريم:**

يقسم الزركشي الفواصل في القرآن الكريم قسمين؛ الأول: المتماثل وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، والثاني: المتقارب وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل. ومن المتماثل: {وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ (٢)} ومن المتقارب: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}.

أما البلاغيون فقد قسموا الفواصل ثلاثة أقسام؛ المتوازي والمتوزان والمطرف؛ أما المتوازي فهو أن تتفق الكلمتان في الوزن كقوله تعالى: {فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤)}، والمتوازن، هو أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط كقوله تعالى: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)}، والمطرف هو أن يتفقا في حروف السجع لا في الوزن كقوله تعالى: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)}.[٣]

---

(١) عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، ص ٩٥.

(٢) علي محمد عاصي الإزيرجاويّ، الفاصلة وتشكيلها المقطعي في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، ص ١٢٩.

(٣) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص ٦٢، ٦٣ بتصرف.

❖ الدراسة التطبيقية[1]:

أولاً: سورة الليل:

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى}

التعريف بالسورة:

سورة مكية نزلت بعد سورة الأعلى، وقبل سورة الفجر وعدد آيها عشرون. [2]

تقوم السورة على فكرة المقابلة بين المؤمنين والكافرين وبيان عاقبة كل منهما، وتقول عائشة عبد الرحمن في تفسيرها لسورة الليل: "نركز اهتمامنا على تدبر ما يسيطر على السورة كلها من ملحظ التقابل والتفاوت، يبدأ باللفت إلى ما هو حِسي مدرك في تفاوت ما بين غشية الليل وتجلي النهار، وخِلقة الذكر والأنثى، توطئةً إيضاحية لبيان تفاوت مماثلٍ في سعي الناس: بين من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، ومن بخل واستغنى

---

(١) نظرًا لوجود بعض الاختلافات بين سورتي الليل والفجر فقد اختلفت كيفية التطبيق؛ حيث جاء التطبيق في سورة الليل على الفواصل وتقسيمها المقطعي والأصوات المجهورة والمهموسة لاتحاد الفاصلة في جميع آيات السورة، أما في سورة الفجر فقد جاء التطبيق على الفواصل وتنوعها لاختلاف الموضوعات والمشاهد في السورة وظاهرة التكرار لوجودها في السورة بشكل ملحوظ ومؤثر. بدأت في الجانب التطبيقي بسورة الليل لأنها سبقت سورة الفجر في ترتيب النزول.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٤، ص ٣٧٧

وكذب بالحسنى، ثم تفاوت الثواب والعقاب في الأخرى: بين الأشقى يصلى نارًا تلظى، والأتقى الذي يُجنبها بما ابتغى وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى".[١]

مظاهر الإيقاع الصوتي في سورة الليل:

ترصد الدراسة فيما يلي الفواصل في آي سورة الليل، ثم تحلل المقاطع الصوتية التي تشكلت منها تلك الفواصل، لبيان أثرها في إحداث إيقاع للآيات، وفي الإيحاء بمعانيها.

١- الفواصل في سورة الليل:

سورة الليل من السور المتماثلة الفواصل؛ حيث اختتمت الآيات جميعها بالألف المقصورة. وهي شكل من أشكال المد وقد جاءت في سورة الليل اثنتين وعشرين مرة.

ويتميز صوت الألف المدية بأنه صوت مجهور تكمن قيمته في استطالته وامتداده، يتبع الصوت الممدود في الشدة والرخاوة والتوسط (الانفجارية والاحتكاكية) [٢] وقد جاءت الألف المقصورة مسبوقة بصوت انفجاري تسع مرات مثل: (لشتى – اتَّقى – تردَّى)، وجاءت مسبوقة بصوت احتكاكي أربع مرات مثل: (يغْشى – تُجْزَى – الأُنْثى – تَلَظَّى)، وجاءت مسبوقة بصوت متوسط تسع مرات مثل: (الحُسْنى – اليُسْرى – العُسْرى – الأعلى) وهنا نلاحظ أن نسبة الأصوات الشديدة والمتوسطة متماثلة من بعضها بعضًا، وهذا مناسب مع المقابلة والتفاوت بين الترغيب والترهيب الذي يمثل المحور الرئيس للسورة.

---

(١) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج٢، ص ١٠٣.

(٢) صوت انفجاري أي عند النطق به يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفًا تامًا عند الشفتين؛ إذ تنطبق هاتان الشفتان انطباقًا كاملاً، ويضغط الهواء مدة قصيرة من الزمن. ثم تنفرج الشفتان فيندفع الهواء فجأة من الفم محدثًا صوتًا انفجاريًا. من كتاب: علم الأصوات، كمال بشر، ص ٢٤٨.

أما عن التقسيم المقطعي للفواصل فنجد أن الكلمات الفواصل سواء أكانت أسماءً أم أفعالاً بينهما كثير من التشابه المقطعي.

الفواصل الثنائية المقاطع:

جاءت ثلاثة أفعال ثنائية المقاطع: "يغشى – يرضي" وهذان الفعلان جاءا في أول السورة وآخرها. أما الفعل الثالث فجاء مبنيًا للمجهول وهو الفعل "تُجْزى". هذه الأفعال تتكون من مقطعين على الوجه الآتي: قصير مغلق + طويل مفتوح.

أما بالنسبة للأسماء: (أُنثى – حُسنى – يُسرى – عُسرى–أولى – أشقى – أتقى – أعلى –شتَّى)، فتتكون أيضًا من مقطعين: الأول قصير مغلق والثاني مقطع طويل مفتوح. وجاء اسم واحد (هُدى) مكونًا من مقطعين الأول قصير مفتوح، والثاني مقطع طويل مفتوح.

الفواصل الثلاثية المقاطع:

في الأفعال مثل: (تجلَّى – تردَّى – تلظَّى – تولَّى–تزكَّى) إذ تتكون من ثلاثة مقاطع: مقطع قصير مفتوح + مقطع قصير مغلق +مقطع طويل مفتوح.

وهناك أفعال ثلاثية المقاطع أيضًا لكن تشكيلها المقطعي مختلف وهي: (استغنى – اتَّقى) حيث إنها تتكون من: مقطع قصير مغلق + مقطع قصير مغلق + مقطع طويل مفتوح.

تنوعت دلالات المقاطع المفتوحة بين بيان قدرة الله وقوته وتنبيه الكفار وإيقاظهم من غفلتهم، وبيان عاقبتهم في الآخرة.

الأصوات المجهورة والمهموسة [١] في سورة الليل:

يرى مصطفى صادق الرافعي أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًا أو غنة أو لينًا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يكسبه من الارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى. [٢]

يعرف إبراهيم أنيس الأصوات المجهورة والمهموسة قائلاً: إذا اندفع الهواء خلال الوترين وهما في هذا الوضع يهتزان اهتزازًا منتظمًا، ويحدثان صوتًا موسيقيًا، وعلماء الأصوات اللغوية يسمون هذه العملية بجهر الصوت. والأصوات اللغوية التي تصدر بهذه الطريقة أصوات مجهورة. وعكس الجهر في الاصطلاح الصوتي هو الهمس. فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حين النطق به.[٣]

الجهر والهمس صفتان تحققتا في النص القرآني لتبليغ رسالة بالقوة والترهيب أحيانًا، وباللين والتحبيب حينًا آخر.

---

(١) اختلف تصنيف بعض الأصوات المجهورة والمهموسة بين القدماء والمحدثين، فصوت الهمزة قديمًا كان صوتًا مهموسًا ولكنه أصبح حديثًا صوت صامت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، وأيضًا صوتا القاف والطاء كانوا يحسبوها مجهورة أما الذي نعرفه ونخبره اليوم في نطقنا الحالي للعربية هو أن القاف والطاء صوتان مهموسان. من كتاب علم الأصوات، د. كمال بشر، ص ١٧٩.

(٢) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ص ٢١٥-٢١٦ بتصرف.

(٣) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥، ص ٢٠ بتصرف.

الأصوات المجهورة التي جاءت بالسورة:" غ، م، ن، ب، ع، ذ، د، ج، ض، ي، ل، و، ر، و، ز، ظ"، أما الأصوات المهموسة فهي: "خ، ش، س، ت، ط، ح، هـ، ف، ق، ث، ص، ك".

وجاءت وفرة الأصوات المجهورة مناسبةً لطبيعة السورة التي غلب فيها الخطاب إلى المكذبين، وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

الأصوات	عدد مرات الورود	النسبة المئوية
المجهورة	٢٢٩	٪٧٣
المهموسة	٦٨	٪٢٢
الهمزة	١٦	٪٥
المجموع	٣١٣	٪١٠٠

أمثلة الأصوات المجهورة والمهموسة الأكثر ورودًا في سورة الليل:

الصفة	الأصوات المجهورة		الأصوات المهموسة	
الأصوات	ل	ن	ت	هـ
مرات التواتر	٤٠ مرة	٢٢ مرة	١٣ مرة	١٢ مرة

غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة في سورة الليل؛ حيث جاءت الأصوات المجهورة ثماني عشرة مرة، أما الأصوات المهموسة فقد جاءت ثلاثة عشر مرة.

أولاً: الأصوات المجهورة:

- **تكرار صوت اللام:**

يشرح إبراهيم أنيس كيفية نطق صوت اللام قائلاً: "يتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعًا ضعيفًا من الحفيف. وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما، يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه".(١)

أي أن اللام صوت جانبي تكرر ليلائم الآيات، وهي تخويف الكفار المكذبين ومقابلتهم بجزاء الصالحين المؤمنين. مثل: {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} و {الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}.

- **تكرار صوت النون:**

وهو صوت مجهور. كما أنه صوت أنفي حيث: "يقف الهواء وينخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور عن طريق الأنف".(٢)

النون هو الصوت المناسب الذي له القدرة الإيحائية للجهر بالقوة والتخويف والتنبيه. مثل: "فأنذرتكم – نارًا–استغنى – يغني". كما أن صوت النون مرتبط نطقه بالغنة التي تصاحبه وهو ما يجعلنا نشعر بذبذبة تجعل اللسان متحركًا وتظهر الانفعالات المختلفة. ومن أمثلة هذه الآيات:

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} و{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}. فصوت النون هنا يوحي بالقوة والتحذير، كما يشير أيضًا إلى الحركة ومحاولة الهرب.

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٦٤.

(٢) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، ٢٠٠٠، ص ٣٤٨.

ثانيًا: الأصوات المهموسة:

- **تكرار صوت التاء:**

التاء صوت شديد مهموس لا يتذبذب أثناء نطقه الوتران الصوتيان، تنوعت دلالات الألفاظ التي اشتملت على حرف التاء، مثل: (لشتَّى–اتَّقى–تردى – تولَّى–تلظَّى–تجزى). كما أنه صوت انفجاري يلائم الإطار العام للسورة الذي يأتي معظمه في إطار الترهيب والتخويف. ومن أمثلة هذه الآيات: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} و{الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}.

- **تكرار صوت الهاء:**

الهاء من الأصوات الحلقية، ويصف إبراهيم أنيس صوت الهاء قائلاً: "الهاء صوت رخو مهموس، عند النطق به يظل المزمار منبسطًا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعًا يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين".[١]

ومن الكلمات التي اشتملت على صوت الهاء: "النهار – الهدى – وجه ربه – سيجنبها". وهي كلمات هادئة رقيقة مطمئنة للمؤمنين الصادقين، ومن هذه الآيات: {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}، و{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}، و {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى}.

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٨٨.

ثانيًا: سورة الفجر[١]:

سورة الفجر سورة مكية وهي العاشرة في عداد نزول السور نزلت بعد سورة الليل وقبل سورة الضحى، آياتها اثنتان وثلاثون. [٢]

يعدد محمد بن عاشور أغراض السورة قائلاً: "حوت من الأغراض ضرب المثل لمشركي أهل مكة في إعراضهم عن قبول رسالة ربهم بمثل عاد وثمود وقوم فرعون، وإنذارهم بعذاب الآخرة، وتثبيت النبي مع وعده باضمحلال أعدائه. إبطال غرور المشركين من أهل مكة إذ يحسبون أن ما هم فيه من النعيم علامة على أن الله أكرمهم، وأن ما فيه المؤمنون من الخصاصة علامة على أن الله أهانهم، وأنهم أضاعوا شكر الله على النعمة فلم يواسوا ببعضها الضعفاء، وما زادتهم إلا حرصًا على التكثر منها. وأنهم يندمون يوم القيامة على أن لم يقدِّموا لأنفسهم من الأعمال ما ينتفعون به يوم لا ينفع نفسًا مالها ولا ينفعها إلا إيمانها وتصديقها بوعد ربها، وذلك ينفع المؤمنين بمصيرهم إلى الجنة". [٣]

أدى هذا التنوع في المشاهد إلى تنوع الفواصل وتنوع الأصوات في نهاية كل آية لمناسبة معنى الآية وهذا ما سترصده الدراسة فيما يلي:

المشهد الأول: القسم بظواهر زمنية:

{وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥)}

تبدأ السورة بالقسم بظواهر وأيام جميلة ندية تبعث على التفاؤل ورغبة في الهدوء وسكون النفس والسعي إلى العبادة، فالفجر يكون الكون فيه ساكنًا ويصحو المؤمنون ليستقبلوا تباشير اليوم بالصلاة والدعاء والتقرب إلى الله، والليالي العشر، وهي ليالي ذي

---

(١) قسمت السورة إلى مقاطع نظرًا لتنوع موضوعاتها ومشاهدها.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٤، ص ٣١١.

(٣) محمد بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٤، ص ٣١١-٣١٢.

الحجة التي يتقرب فيها المسلمون إلى الله بكل العبادات، ثم أقسم سبحانه وتعالى بالشفع وهو يوم النحر والوتر وهو يوم عرفة. وختم بالليل حيث يشتد الظلام فيكون المسلمون أخذوا قسطًا من النوم ويبدأون في التهجد إلى الله. ويختم الله هذه الآيات باستفهام تقريري لمن كان صاحب عقل ليعلم أن المقسم بهذا القسم صادق فيما أقسم عليه. [١]

الفواصل في هذه الآيات الخمس من النوع المتماثل حيث ختمت الآيات بكلمات على وزن "فَعْل"، آخر صوت فيها راء ساكن ما قبلها، والراء صوت "مجهور متوسط الشدة والرخاوة... فيه ترجيع وتكرار". [٢]

ويصنف كمال بشر تسمية التكرار في صوت الراء قائلاً:" يصدر هذا الصوت بتكرار ضربات اللسان على مؤخر اللثة تكرارًا سريعًا ومن ثم كانت تسمية الراء بالصوت المكرر".[٣]

وقد أفاد التكرار هنا أن كل ما أقسم عليه الله سبحانه تعالى يتكرر يوميًا أو سنويًا، فهي ظواهر زمنية ترتبط بالعبادات للتقرب إلى الله. كما يوحي بدعوة القرآن إلى التأمل كثيرًا في ظواهره الكونية.

وقد اختتمت الآيات بكلمات ذات مقطع قصير مغلق بصامتين عند الوقف وهي: "فجر، عشر، وتر، يسر".

المشهد الثاني: أحوال الأمم السابقة:

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ

---

(١) المرجع السابق، ج ٣٠، ص ٣١٢-٣١٦ بتصرف.

(٢) حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨، ص ٨٣.

(٣) كمال بشر، علم الأصوات، ص ٣٤٥، ٣٤٦.

(١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(١٤)}

يضرب الله مثلاً قوم عاد وقوم ثمود إنذارًا للقوم الذين فعلوا مثل فعلهم من تكذيب رسل الله؛ لأن التذكير واستحضار الأمثال يقرِّب إلى الأذهان الأمر الغريب الوقوع.

الفواصل في هذه الآيات التسع من النوع المتقارب حيث ختمت كل آية منها بمد بالألف يعقبه صوت الدال أو الباء، والمد نوع من الحركات التي يعرفها دانيال جونز بأنها: "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكًا مسموعًا".(١)

وربما يكون المد للإشارة إلى مدى طغيان عاد وثمود وعدم خوفهم من عقاب الله فأكثروا من الفساد والتكذيب، وكانت العاقبة بمثل ما فعلوا حيث صب الله عليهم عذابه.

جاء بعد المد صوت الدال في ثماني آيات وصوت الباء في آية واحدة، وكلاهما صوت مجهور شديد انفجاري تعبيرًا عن القوة وإنكار رسالة بعثهم اللهوهو وصف ينطبق على قوم عاد وثمود الذين أغلقوا عقولهم وآذانهم عن الاستماع للحق. كما أنه يعبر عن شدتهم وقوتهم، فصوت الدال نتيجة لنطقه يتمتع بدلالات الشدة والصلابة.

أما صوت الباء وهو صوت انفجاري يوحي عند النطق به بالمفاجأة والتحطيم والشدة. (٢)

اختتمت هذه الآيات بكلمات تنتهي بمقطع ممدود مغلق عند الوقف في كلمات: "أوتاد – بلاد – عماد" عملت على تصعيد المعنى وتعميقه.

---

(١) حسام البهنساوي، دراسات في علوم الأصوات، دار غريب، ٢٠١٥، ص ١٥٩.

(٢) حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٠١

المشهد الثالث: أحوال الإنسان:

{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦)}

تنتقل السورة إلى النماذج الإنسانية بعد ذكر نماذج الأقوام؛ حيث قدمت الآيتان نموذجين إنسانيين يتكرران على مر العصور والأزمان. وتوضح عائشة عبد الرحمن مفهوم الابتلاء في الآية الخامسة عشرة قائلة: "الابتلاء إنما هو بالنعمة من حيث هي ذريعة ترفٍ وفساد في الأرض، وبالإكرام من حيث هو مظنة وغرور وأثرة واستكبار وتعالٍ على الناس وعدوان على حقوقهم بدعوى الأهلية للتشريف والإكرام من الله. وكذلك الابتلاء بالحرمان والضيق في الرزق، من حيث هما مظنة الشغف بالدنيا واشتهاء ما لم يُتَح للمحروم من ملاذها والإحساس بهوانه على ربه الذي قسم الرزق، يبسطه سبحانه على من يشاء ويقدر".[١]

وهنا يتحدث القرآن عن رؤية الإنسان لكرم الله أو تقتيره، فهو ينظر إلى الحالين على أنهما ابتلاء واختبار لثبات النفس.

الفواصل في هذه الآيات من النوع المتماثل؛ فقد اختتمت الآيتان بصوت النون الساكن وهو صوت رخو ومن أكثر الأصوات دورانًا في الفواصل لما لها من صفة تمتاز بها عن باقي الأصوات، وهي الغنة التي تناسب مثل هذا النوع من الانفعال، ويعلل ذلك مصطفى صادق الرافعي بقوله: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقًا عجيبًا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب،

---

(١) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج٢، ص ١٥٢.

وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، هما الصوتان الطبيعيان في الموسيقى نفسها"[١]، اتفقت الفاصلتان في الوزن والقافية، وبينهما مقابلة. الكلمتان التي اختتمت بهما هاتين الآيتين متماثلتان في عدد المقاطع، فهما من الكلمات الثلاثية المقاطع.

المشهد الرابع: صفات الكفار:

﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) ﴾

ينبه الله هؤلاء المتوهمين لحقيقة الأمر، نتيجة الخطاب الإلهي إليهم: فأنتم لا تقومون بحق العطاء ولا تكرمون اليتيم الصغير ولا تتحاضون فيما بينكم على إطعام المسكين، بل على العكس أنتم تأكلون الميراث أكلاً شرهًا جشعًا وتحبون المال حبًا كثيرًا طاغيًا. [٢] يفسر الواحدي ت ٤٦٨هـ {أكلاً لمّا} قائلاً: " اللَّم الجمع الشديد... أكلاً لمًّا أي شديدًا". [٣]

جاءت الفاصلتان في الآيتين الأوليين متقاربتين بصوتي الميم والنون، وهما من أكثر الأصوات دورانًا في الفواصل، وهما صوتان متماثلان في المخرج والصفات.

الميم صوت شفوي أنفي مجهور فعند النطق به:" تنطبق الشفتان انطباقًا تامًا عند النطق بصوت الميم فيقف الهواء أي يحبس حبسًا تامًا في الفم، ويخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الصاعد من الرئتين من المرور عن طريق الأنف بسبب ما يعتريه من

---

(١) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢١٦ – ٢١٧.

(٢) محمد بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٣٣٢ بتصرف

(٣) الواحدي النيسابوري أبو الحسن، التفسير البسيط، العبيكان، تحقيق: محمد صالح عبد الله الفوزان، الطبعة الثانية، ٢٠١٨، ج ٢٣، ص ٤٥٢.

ضغط وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بصوت الميم". [١] وتشابهت الكلمتان في عدد المقاطع فكلتاهما من المقاطع الثنائية مما أحدث نوعًا من التوافق الإيقاعي يماثل ما بينهما من تشابه في الحالة الاجتماعية، فكلاهما يحتاج إلى رعاية وعطف ومحبة.

أما في الآيتين الأخريين جاءت الفاصلتان متجانستين بصوت الميم. فالميم "لمًّا" توحي بالرغبة في الضم والشعور بالجمع هذا ما يفتقده اليتيم ويرغب في حدوثه. أما في "جمًّا" توحي بالرغبة الشديدة وحب التملك، ويفسر محمد بن عاشور معنى (جمًّا) قائلاً: " الجمُّ مستعار لمعنى القوي الشديد أي حبًا مفرطًا، وذلك محل ذم حب المال؛ لأن إفراد حبه يوقع في الحرص على اكتسابه بالوسائل غير الحق كالغصب والاختلاس والسرقة وأكل الأمانات".[٢]

وهما أيضًا من المقاطع الثنائية: مقطع قصير مغلق + مقطع طويل مفتوح.

المشهد الخامس: يوم القيامة:

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦)}

يعرف الواحدي الدك قائلاً: "يعني كسر كل شيء من جبل أو بناء أو شجر زلزلت فلم يبق على ظهرها شيء".[٣]

يفسر محمد بن عاشور هذه الآيات قائلاً:" هنا استئناف ابتدائي انتقل به من تهديدهم بعذاب الدنيا الذي في قوله " ألم تر كيف فعل ربك بعاد" إلى الوعيد بعذاب الآخرة. فإن استخفوا بما حلّ بالأمم قبلهم، أو أمهلوا فأخر عنهم العذاب في الدنيا فإن

---

(١) كمال بشر، علم الأصوات، ص ٣٤٨.

(٢) محمد بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٣٣٤.

(٣) الواحدي، التفسير البسيط، ج ٢٣، ص ٤٥٥.

عذابًا لا محيص لهم عنه ينتظرهم يوم القيامة حين يتذكرون قسرًا فلا ينفعهم ولات ساعة مندم".[١]

تنوعت الفواصل في هذه الآيات لما تصفه من تنوع المشاعر التي تصيب الإنسان وهو في هذا الموقف، ففي الآيات الثلاث الأولى جاءت الفواصل متجانسة في (دكا – صفا – الذكرى)، وهي فاصلة الفتحة الطويلة بامتداده إلى الأعلى يضفي على الآيات صفة الشدة والقوة والترهيب مما سيحدث يوم القيامة من أحداث عظيمة.

وتشابهت في عدد المقاطع مما أحدث نوعًا من التناسب الموسيقي، فجميعها من المقاطع الثنائية: مقطع قصير مغلق + مقطع طويل مفتوح.

ثم أتت فاصلة بمفردها وهي الكسرة الطويلة؛ حيث يتحرك الفم إلى الأسفل لتصوير سدة اليأس والتحسر على ما ضيعه في حياته. وهي عبارة عن ثلاثة مقاطع: مقطع قصير مفتوح+ مقطع طويل مفتوح+ مقطع طويل مفتوح. وهذا يوحي بطول الحياة وكثرة ما فعله الإنسان فيها من حسنات وسيئات. وأخيرًا أتت فاصلة الدال المجهورة الانفجارية في كلمة "أحد"، وهي ملائمة لجو الآية العام من العذاب فلا أحد يعذب مثلهم ولا يوثق ويقاد إلى النار مثلهم. وهي عبارة عن مقطعين أولها قصير مفتوح وثانيهما مقطع قصير مغلق بساكن.

المشهد السادس: خطاب إلى المؤمنين:

{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي(30) }

---

(١) محمد بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٣٣٥.

يتوجه الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات بالخطاب إلى المؤمنين الذين اتبعوا أوامر الله واتخذوا من القرآن كتابًا لهم بالعمل؛ فيطمئن نفوسهم المؤمنة، ويأمرهم بالرجوع إلى الله راضين مرضيين، والدخول في زمرة عباده حيث ينالون ما يستحقون وهو الدخول للجنة.

تنوعت الفواصل في هذه الآيات بين صوتي التاء المربوطة، ولكن عند الوقف عليها تصبح هاء السَّكْت، وكما نلاحظ صوت الهاء هنا جاء ملائمًا للنبرة الهادئة والمطمئنة للمؤمنين. وجاءت الأولى رباعية المقاطع والثانية ثلاثية المقاطع.

ثم جاءت فاصلتا الدال الممدودة بالياء ثم التاء الممدودة بالياء. ياء المد تعطي امتدادًا للمكان والزمان فالله سبحانه وتعالى يدعوهم إلى الدخول في زمرة عباده الصالحين والدخول في جنته. وكلتاهما ثلاثية المقاطع الأولى: مقطع قصير مفتوح+ مقطع طويل مفتوح+ مقطع طويل مفتوح.

ثانيًا: التكرار في سورة الفجر:

يتنوع التكرار في سورة الفجر ما بين تكرار الصوت والاسم والفعل، والتكرار له وقع موسيقي على الأذن كما أنه يؤكد المعني ويثبته. وهذا ما وضحه حازم كمال الدين عند حديثه عن وظيفة التكرار اللفظي؛ فذكر أنه له وظيفتين هما:

أ- الوظيفة الإيقاعية: تكرار الصوت أو المقطع الصوتي أو الكلمة، يجعل الكلام يتميز بجرس موسيقى تدركه الأذن، فيؤدي إلى نوع من الصفاء النفسي، وهذا الصفاء يكون طاقة هائلة تساعد على التلاحم القوي بين النص والمتلقي، واستيعاب ما يتضمنه من معان وجماليات. والإيقاع يساعد على حفظ النصوص وتثبيتها في الذاكرة، فالشعر القديم كان يتميز بسهولة حفظه لدى الرواة بسبب ما يتميز به من إيقاع ناتج عن تكرار الوحدات العروضية، وتكرار قالب القافية.

ب–الوظيفة الدلالية: التوكيد، والتعظيم والتهويل، وزيادة التنبيه.[١]

ومن مظاهر التكرار اللفظي الواردة في سورة الفجر:

١– تكرار الكلمات بلفظها:

- تكرار الفعل "ابتلاه" حيث إن الإعطاء والمنع كليهما اختبار من الله؛ لأن الإنسان يعتقد أن الكرم أو التقتير يدلان على منزلة الإنسان عند الله تعالى، وهذا توهم خاطئ.
- تكرار "كلا": للكشف عن حقيقة نفوسهم وردعهم عما يقولون فهو في الواقع زور وبهتان.

تكرار المصدر "دكًّا دكًّا" و"صفًّا صفًّا": الذي وقع مفعولاً مطلقًا للتأكيد على حدوث الفعل. وفسر الواحدي سبب تكرار كلمة (دكًّا) قائلاً: "معنى التكرير في قوله "دكًّا دكًّا" أنه دفعات على تأويل دكت الأرض دكًا بعد دك، ولو كان غير مكرر لاشتبه أن يكون دفعة واحدة"(٢)، وأضافت عائشة عبد الرحمن قائلة: "حملوا تكرار الدك على المرة بعد المرة والاقرب أن يكون من التأكيد".(٣)

أما تكرار كلمة "صفًّا" فهو ليس للتأكيد وإنما لبيان كثرة عدد الصفوف، وبيان مدى اصطفافها وتنظيمها.

تكرار الفعل "ادخلي": حيث يخاطب الله النفس المؤمنة الراضية لطمأنتها وتبشيرها بما سيحدث لها يوم القيامة.

تكرار الظرف "يومئذ": للتأكيد على حدوث هذه الأفعال "يعذب – يوثق" في المستقبل.

---

(١) حازم علي كمال الدين، نظرية القوة الإعجازية في الخطاب اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٥٩ – ٦٠ بتصرف.

(٢) الواحدي، التفسير البسيط، ج ٢٣، ص ٤٥٥.

(٣) عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج٢، ص ١٥٤.

٢- تكرار الجذر:

ويطلق عليه د. سيد خضر ظاهرة الجناس حيث يرى أن الجناس ظاهرة تكرارية؛ إذ هو في الحقيقة تكرار للفظ ما تكرارًا تامًا أو تكرار لبعض الحروف، ومع أن المعنى في ألفاظه يكون مختلفًا فإنه يحقق جرسًا موسيقيًا ينبه الآذان والعقول وينبغي أن يُستعمل على حسب الحاجة إليه؛ لأنه إذا كثر في الكلام صار صنعة متكلفة مفسدة لجماله، كما يرى أن جمال الجناس قائم على أساس تكرار مجموعة من الحروف في كلمتي الجناس مما يعطي الكلام جرسًا موسيقيًا محببًا معبرًا.[١]

ويطلق عليه المهدي إبراهيم مستوى "التماثل الصوتي" ويعرفه قائلاً: يتصل محور الإيقاع بمحور التماثل، فكلما ازداد هذا التماثل ازدادت الطبيعة الإيقاعية التي تؤكد شاعرية الصياغة. وهذا التماثل يتجلى في عدة مظاهر في النص القرآني؛ فنجده أحيانًا في تجانس مقاطع الكلمات وتشابه مخارج الحروف أو اتحادها، أو في اتحاد حركات الحروف وترتب ذلك وفقًا لبنية تناسقية تقوم على تكرار التماثلات بشكل يحدث نوعًا من الإيقاع الذي يعد عنصرًا أساسيًا في إبداعية التراكيب وجمالياتها... ومن أنواعه تماثل بتكرار الفعل وفق مسافات متناسبة بين كل فعلين في الآية، تماثل عن طريق التكرار بذكر مصدر الفعل.[٢]

ومن أمثلة تكرار الجذر بصيغ مختلفة في سورة الفجر تكرار الفعل مع المفعول المطلق، مثل: "تأكلون– أكلاً، تحبون–حبًا" لتوكيد حدوث الفعل وبيان نوعه؛ حيث أتت

---

(١) د. سيد خضر، التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ١٢، ١٣ بتصرف.

(٢) د. المهدي إبراهيم الغويل، جماليات البنية الإيقاعية في القرآن الكريم دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم، ص ١٧٨ بتصرف.

بعده كلمة توضح شدة حبهم ونهمهم لجمع المال وأكل مال اليتيم. أما "دُكَّت – دكًّا" فهي تكرار لتأكيد حدوث الفعل.

ومن أمثلة التكرار في سورة الفجر تكرار الفعل والاسم المشتق منه مثل: "يتذكر – ذكرى، يعذب –عذابه، يوثق – وثاقه"

ومن أمثلته أيضًا كلمتا: "راضية – مرضية" فالأولى اسم فاعل والثانية اسم مفعول، ويفسر محمد الطاهر سبب الجمع بينهما قائلاً: "راضية تعني رضت بما أعطيته من كرامة وهو كناية عن إعطائها كل ما تطمح إليه، المرضية اسم مفعول وأصله: مرضيا عنها... والمقصود من هذا الوصف زيادة الثناء مع الكناية عن الزيادة في إفاضة الإنعام لأن المرضي عنه يزيده الراضي عنه من الهبات والعطايا فوق ما رضي به هو".[١]

خاتمة البحث:

بعد استقصاء عناصر البحث لعناصر الإيقاع الصوتي في سورتي الليل والفجر تبين للباحث الآتي:

- اهتم النص القرآني بالجانب الصوتي الذي يعد مظهرًا عظيمًا من مظاهر إعجازه.
- للفواصل أهمية كبيرة في القرآن الكريم دلاليًا وصوتيًا، فهي توحي بالمعنى العام للآية وتعطي إيقاعًا للألفاظ يجذب الانتباه.
- تماثلت الأصوات الانفجارية والمتوسطة في سورة الليل تناسبًا مع سياق السورة العام هو مقابلة بين حال المؤمنين والكافرين.
- تناسبت دلالة الأصوات التي انتهت بها الآيات مع الدلالة العامة للآية.

(١) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج ٣٠، ص ٣٤٣.

- تكرار صوت معين أثناء السورة له علاقة وثيقة بسياق السورة العام. كما أنه يعكس انفعالاً معينًا.
- غلبت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة في سورة الليل؛ لأن الخطاب في الجزء الأكبر من السورة خطاب ترهيبي تنبيهي.
- تمثلت دلالات الجهر والشدة في: القوة، والترهيب والتحذير وبيان العقوبة، أما دلالات الهمس والرخاوة فتمثلت في: الهدوء، والترغيب، وبث الطمأنينة.
- أدى تنوع مشاهد السورة إلى تنوع الفواصل الصوتية، فلكل فاصلة دلالتها المناسبة لسياق الآية.
- غلب في سورة الفجر الفواصل المتقاربة على الفواصل المتماثلة لتنوع السياقات.
- غلبت الأصوات المجهورة (د، ر، ن، م) على الأصوات المهموسة في فواصل سورة الليل؛ حيث جاءت أغلب الآيات؛ ليأخذ الكفار العبرة مما سبق ويتعظوا لعلهم يرجعون عما هم فيه.
- تكرار الكلمات بالإضافة إلى أثره الدلالي، يعمل أيضًا على إكساب سورة الفجر تناسبًا صوتيًا يشبه إلى حد كبير ذلك الذي تحدثه اللازمة في الشعر.
- استخدام المفعول المطلق للتأكيد على حدوث الفعل؛ فيرتدع المخاطبون عن عصيان أوامر الله.
- أفاد التكرار التأكيد والتنبيه.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصدر:

- القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع:

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥.
- أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، ٢٠٠٥،
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
- حازم علي كمال الدين، نظرية القوة الإعجازية في الخطاب اللغوي، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٢.
- حسام البهنساوي، دراسات في علوم الأصوات، دار غريب، ٢٠١٥.
- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨.
- أبو الحسن الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد – د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦.
- د. سيد خضر، التكرار الإيقاعي في اللغة العربية، دار الهدى للكتاب، كفر الشيخ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.
- عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨.

- عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- فضل حسن عباس – سناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس، الطبعة الثامنة، ٢٠١٥.
- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، ٢٠٠٠.
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة.
- الواحدي النيسابوري أبو الحسن، التفسير البسيط، العبيكان، تحقيق: محمد صالح عبد الله الفوزان، الطبعة الثانية، ٢٠١٨.

ثالثًا: الأبحاث:

- علي محمد عاصي الإزيرجاويَ، الفاصلة وتشكيلها المقطعي في القرآن الكريم دراسة صوتية دلالية، مجلة آداب ذي قار، العدد ٣٢، ٢٠٢٠.
- المهدي إبراهيم الغويل، جماليات البنية الإيقاعية في القرآن الكريم دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، مجلد ٢١، ٢٠١٤.

The rhythm of sound in the Holy Qur'an: Surahs Al-Layl and Al-Fajr, is a typical example

Abstract:

This audio study is concerned with dealing with an aspect of the miracle of the Holy Qur'an, which is unique to the text of the Holy Qur'an from all other heavenly books, that aspect related to the vocal rhythm of the Qur'anic verses. She tries to shed light on this miraculous aspect by observing the breaks of the verses and analyzing the sounds of their letters and their arrangement. Qur'anic rhythm is on the phonetic side that is generated from the consistency of the letters in terms of their origins, characteristics, and movements, and from the weights of words and their syllables, and Quranic breaks, and the types of badi', and the balance between sentences and phrases. And also by repeating some words and sounds to indicate a specific meaning or employing them on a specific occasion.

The study chose Surahs Al-Layl and Al-Fajr because of the connection between them in style, and they both include an intimidating speech to the infidels and an encouragement speech to the believers. Aisha Abdel Rahman adds another reason for the closeness of the Surahs Al-Layl and Al-Fajr, saying: "The closeness of the Surahs (Night, Fajr, and Duha) in the revelation makes the phenomenon clear." The stylistic statement in which the Qur'anic statement seeks to clarify the morals with material things of light and darkness in their various degrees over the course of one day, from the cover of night and the manifestation of day, the shining of the forenoon.

Keywords: Rhythm ؛Quran ؛sounds ؛syllables ؛repeat